

المقدمة



الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبدالله ورسوله نبينا وإمامنا محمد بن عبدالله النبي العربي الهاشمي، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فهذه خطب في العقيدة في بيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والذي خلق الجن والإنس من أجله والذي هو الغاية المحبوبة لله والمرضية له، وهو توحيد العبادة والألوهية، وفيها بيان توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وهي ما قد فطر الله عليها عباده ولم يقع فيها نزاع بين الرسل وأممهم، ولم ينكرها إلا من شذ من المجموعة البشرية، وفي هذه الخطب بيان الشرك الأكبر الذي ينافي توحيد العبادة والشرك الذي ينافي توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وفيها بيان الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد والذي هو وسيلة إلى الشرك الأكبر، رأيت نشرها لأهميتها لأن التوحيد هو أصل الدين وأساس الملة، وهو أوجب الواجبات وأفرض الفرائض، والشرك هو أعظم ذنب عصي الله به ولا يغفر الله لمن لقيه بالشرك الأكبر فهو أعظم الذنوب وأغلظها وأشدّها، والشرك الأصغر وسيلة إليه ومقدمة له.

ومادة هذه الخطب هي كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم.

وأسأل الله تعالى أن ينفعني بها ومن شاء من عباده المؤمنين،
وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز لديه في جنّات
النعيم، إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.
وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله
وصحبه والتابعين.

كتبه

عبدالعزیز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنواع التوحيد الثلاثة ووجوب إخلاصها

الحمد لله الذي أوجِبَ على الخَلْق طاعته وتوحيده، أحمدُه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، الذي أشاد منار الإسلام وأَحْكَمَ أساسه، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا تَوْحِيدَهُمْ لِلَّهِ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَدَى بِهِمْ فِي إِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى وحقَّقوا توحيدكم، وَأَخْلَصُوا العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، فَمَنْ أَثَبَّتْ ربوبية الله ووحدانِيته وأسماءه وصفاته وأفعاله على ما يليق بجلاله وعظمته كما وَرَدَ في الكتاب والسُنَّة، وَأَخْلَصَ العبادة في جميع أنواعها لله ولم يخلطها بشرك، وكان في ذلك مقتدياً برسول الله ﷺ، فهو المسلم الذي له الأمان والهداية، وقد أتى بالتوحيد الواجب الذي تَبَرَّأَ به ذمَّته ويستحق به دخول الجنة والسلامة من النار إن كان مؤدياً لفرائض الله مجتنباً لمحارمه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وَمَنْ أَتَى بالتوحيد وأتى معه بكبائر ارتكبتها كتركه لبعض المفروضات أو ارتكابه لبعض

المحرمات ومات من غير توبة فإنه لم يأت بالتوحيد الواجب الذي تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة والنجاة من النار، بل هو على خطر عظيم من دخول النار، وهو متعرض لسخط الله وعقوبته.

أيها المسلمون: ومن أنواع توحيد الله: العلم والإقرار بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ومُصَرِّفه وأنه الرازق المحيي المميت النافع الضار، وذلك توحيد الله بأفعاله، وهو المسمّى بتوحيد الربوبية، وهذا النوع قد أقر به الكفار في عهد النبي ﷺ كما دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٨٥] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [٨٦] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [٨٧] قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٨] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [٨٩] [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

ومن أنواع التوحيد: الإيمان بما وصَفَ الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على الحقيقة من الأسماء والصفات، وعدم التعرُّض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التمثيل أو التحريف أو التعطيل على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥] [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف: ١٨٠] ويسمى هذا النوع من التوحيد: توحيد الأسماء والصفات، وكان الكفار يقرون بجنس هذا

النوع كما كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، لكن إقرارهم بهذا النوع من التوحيد وحده لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم جحدوا توحيد العبادة فلم يخلصوه لله، بل أشركوا معه في عبادته - التي هي محض حقّه - غيره، ولهذا قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم مع إقرارهم بربوبية الله؛ فمن لم يُقر بوحدايته ﷻ أو جحد شيئاً من أسمائه أو صفاته فقد بدّل الدين وأشرك برب العالمين وهو في الدنيا ليس في عداد المؤمنين وفي الآخرة من الخاسرين، وحرّم الله عليه الجنة وأحبط عمله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطَنَ عَمَلِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فلا بدّ من الإخلاص لله في التوحيد والعبادة والطاعة، واتباع السنّة؛ حتى يكون العمل صالحاً مقبولاً نافعاً مضاعفاً مباركاً فيه.

أيها المسلمون: كما تكثر الأعمال بالإخلاص وتتضاعف وبيارك فيها، فإنه مع ذلك مدعاةً للتقدير والتعاون والحبّ والولاء، فما تحلّت به نفسٌ أو أمةٌ إلا وأحبها الله وأحبها الناس، واستولت بإخلاصها على القلوب وكسبت النفوس، وحلّ التعاون فيها محلّ التخاذل، والنصح محلّ الخيانة، والاجتماع محلّ الفرقة، والعدالة محلّ الفسق.

وما تحلّت بالإخلاص أمةٌ إلا عزّ سلطانها، وعظم شأنها وهيب جانبها، ومكّن الله لها في الأرض، وبدّل خوفهم أمناً كما حصل هذا للأمم الإسلامية في أوج إخلاصها حيث تحققت فيهم وعُدّ الله لهم بالتمكين في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيْسَتْ خَلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّتًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

وما فقدت الإخلاص أمة إلا وفقدت كل مقومات حياتها المعنوية وانحطت إلى الحضيض عياداً بالله لأمة الإسلام من ذلك.

فاحمدوا الله أيها المسلمون أن حفظ لكم هذا الدين برجاله المخلصين - العلماء العاملين - الذين هم أئمة يقتدى بهم، وأعلام يهتدى بهم في العلم والعمل والإخلاص، وإن في وجود أمثال هؤلاء في الأمة حفظاً لدينها وصوناً لعزتها وكرامتها، فهم السياج المتين الذي يحول بين الدين وأعدائه، والنور الذي تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه، واشكروا الله أن يسر لكم ديناً سليماً وصراطاً مستقيماً، وجعلكم من أمة محمد ﷺ خير الأمم وأبرها وأزكاها، وحفظ لكم دينكم حتى وصل إليكم - ولله الحمد - نقياً من البدع والإشراك وبرئاً من طريق الغي والهلاك بما أقام لكم من أئمة الدين والجهاذة المرشدين المخلصين.

فاتقوا الله أيها المسلمون وأخلصوا أعمالكم لله وطهروها من إرادة غير الله، ولا يغيب عنكم أن الله تعالى مطّلع على السرائر والضمائر: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: ١٩]، فأخلصوا له النية فيما أوجب عليكم من طاعة ما ندبكم إليه من بر؛ تفوزوا برضاه تعالى ويصرف عنكم السوء والفحشاء وتكونوا من عباده المخلصين. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

رزقني الله وإياكم الإخلاص في عبادته والتحقيق لتوحيده

وطاعته، وجعلنا من أهل التقوى والخشية بمنه وكرمه، وبارك لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا العمل لله، وأخلصوا توحيدكم وطاعتكم لله؛ لتكونوا مؤمنين حقاً فيحصل لكم الأمن والهداية التي أخبر الله عن أهلها بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، واحذروا ما يضعف إيمانكم وتوحيدكم من الشرك والبدع والمعاصي، وتدبروا كتاب ربكم وسنة نبيكم، وداووا بها أمراض قلوبكم وحكموها في كل شؤونكم؛ لتكونوا أعزاء في الدنيا سعداء في الآخرة.

وذلك أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ألا وصلُّوا على نبيكم نبي الرحمة والهدى، نبينا وسيدنا وقدوتنا محمد ﷺ، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



توحيد العبادة

الحمد لله الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمدته تعالى وأشكره على نِعَمِهِ العظْمى التي لا تُحصى ولا تُعدُّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مَنْ وَحَدَ الله وتعبّد، اللهم صلّ وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان في إخلاص التوحيد والتأله لله والتعبّد، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله تعالى خلقكم لعبادته وتوحيده وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإن أنفع وأفضل ما وَعَظَ به الواعظون ودعا إليه الهادون توحيداً لله تعالى، إذ لا حياة للقلوب ولا لذّة ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعتقد اعتقاداً لا يساوره شك مصدقه لذلك بالأفعال بأن الله تعالى هو إلهها وفاطرها وحده لا شريك له، وأن يكون هو معبودها وغاية مطلوبها وأحب إليها من كل شيء حتى من نفوسها، وما أوامره تعالى وشرائعه التي خَلَقْنَا لها وأمرنا بها إلا متعة للقلوب ولذّة للأرواح ونعيماً للنفوس: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

أيها المسلمون: إن أعظم عبادة الله وأجلّها وأفضل واجب وأعظم واجب، وأوّل طريق يسلكه الإنسان إلى الله، وأوّل منازل الطريق، وأوّل مقام يقوم فيه السالك إلى الله وأوّل دعوة الرسل،

وأوّل ما يُدخل في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا هو التوحيد، توحيد الله تعالى بإفراده بالعبادة، وذلك بأن تعتقد أن الله إلهٌ واحد، لا إله إلا هو فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه الخالق المدبّر، وأنه المعبود بحق، وأنه لا يستحق شيئاً من العبادة غيره، وأن مَنْ صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذا التوحيد هو توحيد الألوهية، وهو حق الله على عباده، وهو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأمّمهم في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد في جميع أنواع العبادة، كأركان الإسلام الخمسة، والشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، والدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرغبة والإنابة والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك، وذلك كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الشدائد والمهمات، والاستنجاد بهم في تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وهذا من أعظم المحذات وأكبر المنكرات؛ لأنه الشرك الذي لا يغفره الله؛ لأنه من الدعاء الذي هو العبادة التي هي حق الله تعالى كما قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١) فمن دعا أحداً غير الله فقد عبده، فإن الله سمّى الدعاء عبادة في غير موضع من كتابه قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة (١٤٧٩)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وابن ماجه: كتاب الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وقد أفصح القرآن في مواضع بالنهي عن دعاء غير الله كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وصرح سبحانه بكفر من دعا غيره، فقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فدللت هذه الآيات على أن الله سبحانه هو الإله الحق المنفرد بالعبادة كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴿١٤﴾﴾، فالعبادة محض حق الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود حق إلا الله، فدللت هذه الآيات أوضح دلالة على أن العبادة بجميع أنواعها حق الله تعالى مختصة به، لا يصلح منها شيء لغيره

حتى ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، فضلاً عن غيرهما، ولما كانت العبادة مختصة به - تعالى - أمرنا بإخلاصها له كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، وهي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى أمراً باتباع ملة إبراهيم: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى مثنياً على من اتبعها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

والعبادة يا أخي المسلم لها أصلان تنبني عليهما وهما: غاية الحب مع غاية الذل والخضوع، وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

فاتقوا الله أيها المسلمون وحققوا توحيدكم بإخلاص التوحيد والعبادة لله؛ تكونوا من المهتمدين في الدنيا ومن أهل الأمن في الآخرة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٨٨-٨٩].

رزقني الله وإياكم الإخلاص في عبادته وطاعته، والاستقامة على دينه، والتحقيق لتوحيده، والعمل بكتابه وسُنَّة نبيّه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فتوبوا إليه واستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وأشرف المرسلين صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله واعلموا أنه يُشترط في المسلم أن يكون موحداً لله، ولا يكون موحداً لله حتى يكون مخلصاً في العبادة، وعلى وفق هدي رسول الله ﷺ، وإن كثيراً من الوافدين إلى هذه البلاد من العرب وغير العرب من الحجاج والزُّوَّار ومن غيرهم من يقع في الشرك المنافي للإخلاص والتوحيد وهو يظن أنه موحد مسلم مع أنه مشرك غير موحد، وذلك بأن يكون قد اعتاد في بلده دعاء غير الله

من الأموات من الصالحين وغيرهم وطلب المدد منهم وسؤالهم قضاء الحاجات والعودة بالسلامة من الأسفار والذبح لهم والنذر والاستعانة بهم، وهذا هو الشرك بعينه، فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا التوحيد والإيمان، واحذروا ما ينافيه ويطله أو ينافي كماله الواجب من الشرك والبدع والمعاصي، وتدبروا كتاب ربكم وسُنَّة نبيكم وحكموهما في كل شأن من شؤونكم، فإن في ذلك السعادة والنجاح والنجاة والنور والهداية والشفاء من كل الأدواء في الدنيا والآخرة، وذلك أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله مع جماعتهم، ومن شدَّ عنهم في الدنيا شدَّ عنهم في النار يوم القيامة، ألا وصلوا على مُحَمَّد ﷺ فإن الله أمركم بذلك حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، اللهم ارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وارض اللهم عن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض اللهم عتاً معهم بمنك وشفوئك وكرمك وجودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم أصلح ولاة أمورنا، اللهم ارزقهم البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير

وتذكّرهم إذا نسوا يا رب العالمين، اللهم ولّ على المسلمين خيارهم وأبعد عنهم شرارهم في مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شيء قدير، اللهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشديّ يعزّ فيهم أهل طاعتك ويذلّ فيهم أهل معصيتك ويؤمّر فيهم بالمعروف ويُنهي فيهم عن المنكر يا سميع الدعاء، اللهم ادفَعْ عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين، اللهم أقم علم الجهاد، واقمع أهل الشرك والفساد والريب والزيغ والعناد، وانشر رحمتك على العباد، يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد.

اللهم انصر المجاهدين، اللهم أيّد المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم كُن لهم عوناً وناصرًا، اللهم أيّدهم على أعدائهم، اللهم أنزل الطمأنينة والسكينة عليهم، اللهم خالف بين كلمة أعدائهم واشدد وطأتك عليهم وشتّت شملهم، ومزّقهم كل مُمزّق واجعلهم غنيمة للمسلمين إنك على كل شيء قدير: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩٠] وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠-٩١] فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



عِظَمُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَمَعْنَاهَا

الحمد لله الذي أرشد عقول أوليائه إلى توحيدِهِ وهداها،
أحمدَهُ سبحانَهُ وأشكره على نِعَمِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له، شهادة مَنْ عرف مدلولها لَمَّا تلاها، وأشهد أن مُحَمَّدًا
عبده ورسوله، الذي بيّن كلمة التوحيد لفظها ومعناها، اللهم صلِّ
على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وأصحابه الذين عَضُّوا على سنّته بالنواجذ
وتمسّكوا بعُراها، وَمَنْ سار على نهجهم في تحقيق كلمة التوحيد
والعمل بمقتضاها، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، وجدّدوا إيمانكم في المساء
والصبح بتأمّل معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، إذ لا فلاح إلا
لأهلها، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، أرسل الله الرُّسل
لأجلها مبشّرين ومحدّرين عن ضدها، فدعوا الناس كلهم إلى العمل
بها، فهي رأس المِلَّة والدين، وهي جبل الله المتين، خلق الله الجنين
من ماء مهين ليعبده بها، وقد بُعثَ رسول الله ﷺ يجدّد ما درس من
معالم التوحيد، وقال الله له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَلِكُمْ﴾ [مَحْمَد: ١٩]،
فصدّع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أَمِرْتُ أَنْ أُفَاتِلَ
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(١). ودعا سرّاً وجهاراً، ليلاً ونهاراً،

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم: كتاب الإيمان (٢٠).

حتى انكشف الغطاء عن وجه كلمة التوحيد، فما قامت السماوات والأرض إلا بالحق، ولا صحّت السنّة والفرض إلا بالتوحيد، ولا ينجو أحد يوم العرض على الله إلا بإخلاص التوحيد، ولا جردت سيوف الجهاد إلا للتوحيد، وما أرسلت الرسل إلى العباد إلا ليعلّموهم شرع الله وإخلاص الدين له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٢-٣]، فانقسم الناس عند ذلك فريقين وسلخوا طريقين: فريق انقاد للرسول ووحد الله، والآخر حاد عن دين الله واتبع هواه بغير هدى من الله، فسبحان من فاوت بين عباده بمقتضى حكمته.

طوبى لمن عرف معنى كلمة التوحيد وارتضاها، وعمل باطناً وظاهراً بمقتضاها، وكان من أهل التوحيد والإخلاص، وويل لمن أبى واستكبر عن الانقياد لشرع الله ودينه فكان من أهل الكفر والإشراك، غوت أحلام الجاهلين، وضلت أفئدة المعاندين حيث عبدوا مع الله غيره واستكبروا عن عبادة الله بعد ظهور الحق واستبانته.

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] حقيقة الشهادة بكلمة التوحيد هو أفراد الله بجميع العبادات، وتخصيصه بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي لا يبقى في القلب شيئاً غير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لشيء من أمر الله، وهذا هو حقيقة التوحيد، وأما من قال كلمة التوحيد بلسانه ونقضها بفعاله

فلا ينفعه قول لا إله إلا الله، فَمَنْ صرف لغير الله شيئاً من العبادات، وأشرك به أحداً من مخلوقاته، فهو كافر ولو نطق بـ (لا إله إلا الله) ألف مرة.

قيل للحسن: إن ناساً يقولون: مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: مَنْ قالها وأدّى حقّها وفرضها أدخلته الجنة.

وقال وهب بن منبّه لمن قال له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفتح لك^(١)؛ لأنك في الحقيقة لم تقل لا إله إلا الله.

أيها المسلمون: لا تظنوا أن أمور الشرك بعيدة، فإن هناك أموراً كثيرة تنافي التوحيد أو تقدح فيه، فإن من معاني (لا إله إلا الله) أيها المسلم أن توحد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة، وأن تخصصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد، وأن تفرد به بالتوكل فتجعل عليه اعتمادك، فسارعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين قاموا بواجبات التوحيد، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر فتكونوا من الهالكين، وتمسكوا بالإسلام باطناً وظاهراً، فما خاب من اعتصم بحبل الله المتين، فَمَنْ نفى ما نفته كلمة التوحيد وأثبت ما أثبتته، ووالى عليها وعادى، رفعته إلى أعلى عليين منازل أهل (لا إله إلا الله)، وهم الذين قالوا صواباً، الذين استثناهم الله في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب: ماجاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، ورواية البخاري له معلقة.

فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه، واعلموا أن الله ما خلقكم إلا لعبادته، ولا أمركم إلا بتوحيده وطاعته، والتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين جميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، فأولهم نوح - عليه السلام -، أرسله الله إلى قومه لَمَّا وقعوا في الشرك والآثام، وغلوا في الصالحين، فعبدوهم دون ذي الجلال والإكرام، وآخر الرسل محمد ﷺ النبي الأمين، وهو الذي كسّر صور هؤلاء الصالحين، وأزهق الله به الباطل، وجاء بالحق المبين، أرسله الله إلى أناس يتعبّدون ويحجّون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً لا يفترون، لكنهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين عالم السر والجهر، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونطلب منهم أن يشفعوا لنا عنده ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فبعث الله محمداً عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، يُجدد لهم ما اندرس من دين أبيهم إبراهيم، ويُخبرهم أن التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى على جميع العباد، لا يصلح منه شيء لنبي ولا ملك ولا أحد من الآحاد، كائناً ما كان.

فاتقوا الله أيها الناس، وحقّقوا إيمانكم وتوحيدكم وإخلاصكم لله بالعمل قبل أن ينظر المرء ما قدمت يداه، ولا ينفع أحد أحداً إلا بإذن الله ورضاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي

مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةًٍ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ [الجن: ١٨-٢٣].

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بك أن
نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما تعلم ولا نعلم، ونسألك
أن تبارك لنا في القرآن وترزقنا الفهم له والعلم والعمل، وتنفعنا بما
فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي
ولكم ولجميع المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنّته ورضوانه، صلى الله وبارك
عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه. أما بعد:

فاتقوا الله وتعاهدوا إيمانكم وتوحيدكم لله بالمحافظة عليه من
الوقوع فيما يذهبه أو ينقص كماله من الشرك الأكبر أو الأصغر أو
الوقوع في البدع أو الوقوع في كبائر الذنوب كالعدوان على الناس
في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم، وكعقوق الوالدين وقطيعة
الأرحام، وكالتهاون بفرائض الله.

واهتموا بدينكم واعتنوا به غاية الاعتناء، كونوا لدينكم متقين
ومحسنين في عبادة ربكم أكثر من اعتنائكم وإتقانكم لأمر دنياكم،
فإن الناس في هذا الزمن انساقوا وراء المادة يلهثون وراءها يتعسفون
في جمع المال ولو كان على حساب دينهم أو خُلِقَهم أو أذية
المؤمنين، فاتقوا الله واعملوا لآخرتكم كما تعملون لديناكم، بل
أكثر، فإن الآخرة هي دار القرار والدنيا ممرٌّ ومعبرٌ وأنتم مفارقون

لها ولا بد، وتذكروا وقوفكم بين يدي الله وسؤالكم ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَذَرُّهُمْ فَهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ [القصص: ٦٢-٦٦].

واعلموا أنكم سترون أعمالكم في صحائف أعمالكم التي تعطونها بالآيمان أو بالشمائل يقرأه كل إنسان ولو كان أمياً لا يقرأ في الدنيا يُقال له: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿٤﴾ [الإسراء: ١٤] وتدبروا كتاب ربكم وسنة محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم، ومن شدَّ عنهم في الدنيا شدَّ في النار يوم القيامة.

ألا وصلُّوا على محمد فإن الله أمركم بذلك حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].



الإخلاص وأثره

الحمد لله عالم السر والنجوى، المطلع على الضمائر وكل ما يخفى، أحمدته سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعدّ المخلصين الدرجات العلى وأوعد المرائين ناراً تلظى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل الموحدين والمخلصين لرب الأرض والسموات العُلا. صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكُرماء، ومن تبعهم في إخلاص العمل لربه فيما ظهر وما يخفى وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله خلقكم لعبادته وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، بل أرسل إلينا رسولاً من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [فصّل فرعون الرسول فأخذنه أخذاً وبيلاً] [المزمل: ١٥-١٦].

والعبادة التي خلقنا لها قد جعل الله لها شرطان أساسيان لا تتم ولا تنفع إلا بهما، وهما: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البيّنة: ٥]، فهذه الآية تُبيّن

أن الإخلاص هو القاعدة التي تُبنى عليها العبادة وتتم بها وتجعلها موجهة إلى الله وحرية بقبوله ومثوبته، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فهذه الآية تبين أن المتابعة لرسول الله ﷺ شرط في صحة العبادة.

أيها المسلمون: مما سبق يتبين أن العبادة أيًا كانت فعلية أو قولية لا تسمى عبادة ولا تكون نافعة إلا إذا صدرت من مؤمن وتوفّر فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله - عليه الصلاة والسلام -، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

والإخلاص الذي يتوقف عليه قبول العمل هو أفراد الحق تعالى بالطاعات وقصده بها دون غيره، وتجريدها وتصفيته من قصد المحمّدة أو الثناء أو الجاه أو المنصب أو الدنيا أو معنى آخر سوى التقرب بها إلى الله وحده.

الإخلاص أن يكون باطن العمل كظاهره أو أحسن، وسره كعلنه أو أفضل، والإخلاص مصدره نية القلب، والنية هي معيار الأعمال ومقياسها العادل الذي يتميز به طيبها من خبيثها وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارها، والأعمال الصالحة تتفاوت ويتفاوت أجرها بحسب النيات وما قام بالقلب منها، والطاعات قد تكون في ظاهرها وهيئتها سواء، ولكنها في باطنها متفاوتة فهي خير للمخلصين وسعادة، وشر للمرائين وشقاوة، فالناس يقفون جميعاً للصلاة في مصلى واحد وخلف إمام واحد يركعون ويسجدون سواء، ومنهم المقبول لإخلاصه وتقواه، ومنهم المردود لريائه وخبث نواياه،

ويقفون في صف الجهاد تحت قيادة واحدة ويقتلون، ومنهم بعد القتل مَنْ تروح أرواحهم وتغدو في الجنة تسرح حيث شاءت، ومنهم مَنْ يسحب على وجهه ويلقى في النار، فالأول جاهد إخلاصاً لله وفي سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والثاني جاهد مفاخرةً ورياءً ومباهاةً، روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلِ تُحْبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون وأخلصوا أعمالكم لله، فالإخلاص هو سرّ نجاح العبد وفلاحه في دنياه وآخرته، وهو دعامة الأعمال التي تقوم عليها سواء كانت طاعةً روحيةً أو معاملةً ماديةً، فهو للأعمال كالروح للأجسام، والأعمال معه ذاتٌ كثرة وبركة وبفقدانها له ذاتٌ قلة وفشل، واسمعوا قول الله في المثليين اللذين ضربهما لمن ينفق

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٩٠٥).

رياء الناس ولمن ينفق ابتغاء مرضاة الله حينما يقول ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ [البقرة: ٢٦٤-٢٦٥].

اللهم ارزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأعدنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد سمعتم فضل الإخلاص وأثره، وأن الأعمال معه تنمو وتزكو ويبارك فيها وتقبل، وبدونه تقل بركتها وتضمحل وتفشل وتُرد على صاحبها، فأخلصوا أعمالكم لله واطلبوا بها رضاه، واقصدوا بها وجهه، وجاهدوا أنفسكم في إخلاصها لله، واحذروا المقاصد الرديئة والنوايا السيئة من قصد مال أو دنيا أو رياسة أو منصب أو جاه أو ثناء أو مدح، أو الوصول إلى أي غرض آخر، فقد أمركم رب العزة والجلال بالإخلاص فقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴿البَيِّنَةُ: ٥﴾، وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿غَافِر: ١٤﴾، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿غَافِر: ٦٥﴾.

وأهل الإخلاص هم أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة، قال أبو هريرة: مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(١)، وفي رواية: «مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(٢)، فالإخلاص عليه مدار قبول الأعمال، فتدبروا هذه الآيات وأمثالها لتعرفوا عِظَمَ شأن الإخلاص، فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ عنهم في الدنيا شذَّ في النار يوم القيامة.

أَلَا وَصَلُّوا عَلَى مُحَمَّدٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿الأَحْزَاب: ٥٦﴾.



(١) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٠٤٥).

بيان الكفر ونواقض كلمة التوحيد

الحمد لله المتوحد بالانفراد، المتمنزه عن الصاحبة والأولاد،
أحمده سبحانه وأشكره على نعم لا أحصي لها تعداد، وأشهد أن لا
إله إلا اله وحده لا شريك له الكبير المتعال، شهادة تنفي الشرك
وتنافي الضلال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، حذر
من الشرك ونفاه حتى زال، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه
خير صحب وآل، ومن تبعهم بإحسان في عمله والمقال، وسلم
تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله خلقكم
لأمر عظيم هو أن تعبدوه وتوحدوه وتطيعوه وتنتهوا عن محارمه
ومعاصيه، واعلموا أن كلمة التوحيد التي يصير بها المرء مسلماً
موحداً هي (لا إله إلا الله) وهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها
له ملائكته وأولوا العلم من خلقه كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فهذه الكلمة كلمة عظيمة لأجلها خلق الله الثقلين الجن والإنس،
كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]
ولأجلها قام سوق الجهاد، ولأجلها انقسم الناس إلى شقي وسعيد،
ولأجلها خلق الله الجنة والنار، وهي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي
كلمة التقوى التي تقى قائلها الشرك بالله، وهي كلمة الإخلاص المنافية

لشرك، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزَّخْرُفُ: ٢٨] وهي كلمة الإسلام التي لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه، وقبوله والانقياد للعمل له.

أيها المسلمون: إن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، لها شروط ومقتضيات، ولها نواقض تنتقض بها، ولا يكون قائل هذه الكلمة موحدًا عند الله بريئًا من الشرك مستحقًا لدخول الجنة والنجاة من النار حتى يحقق هذه الكلمة فيعلم معناها ويعمل بمقتضاها ويستكمل شروطها ولوازمها، ويتعد عما يناقضها، أما النطق المجرد باللسان لهذه الكلمة فلا يفيد ولا ينفع، فإن المنافقين يقولون: (لا إله إلا الله)، ويصلون ويتصدقون وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، فمن شروط هذه الكلمة ولوازمها ومقتضاها، العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، وأنها تنفي الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات وتثبتها لله وحده، والإلهية هي العبادة والطاعة، والإله هو المعبود. ومن شروطها ولوازمها: اليقين، وهو معرفتها بالقلب وكمال العلم بها المنافي للشك والريب.

ومن شروطها ولوازمها: الإخلاص المنافي للشرك.

ومن شروطها ولوازمها: الصدق المانع من النفاق.

ومن شروطها ولوازمها: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك، فيحبها ويحب أهلها ويغض ما خالفها ويعاديه.

ومن شروطها ولوازمها: الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

ومن شروطها ولوازمها: القبول المنافي للرد، فقد يقولها من

يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً.

وقد دلت النصوص على هذه الشروط واللوازم، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، وفي رواية: «صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ»^(٢)، وفي حديث عتبان رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» أخرجاه^(٣)، وفي حديث أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» رواه مسلم^(٤) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة كثير من الناس بهذه الشهادة.

أيها المسلمون: إن من نواقض هذه الكلمة، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) الشرك في عبادة الله تعالى، كأن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أو يسألهم الشفاعة أو يتوكل عليهم أو يذبح لهم أو ينذر لهم أو يرجوهم أو يخافهم دون الله ﷻ.

ومن نواقضها التي ينتقض بها الإسلام: عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم.

ومن نواقض هذه الكلمة: اعتقاد أن هناك هدياً أكمل من هدي

النبي ﷺ.

ومن نواقضها: اعتقاد أن حكم غير النبي ﷺ أحسن من حكمه

(١) صحيح ابن حبان: كتاب الإيمان (٢٠٠).

(٢) مسند الإمام أحمد: رقم (٢٢٠٠٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٢٥)، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم ٢٦٣ (٣٣).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٣)، من رواية أبي مالك سعد بن طارق، وأبوه: طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه.

أو مماثلاً ومساوياً لحكمه، كمن فضّل القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية واعتقد أن حكم القوانين الوضعية هو الذي يناسب العصر الحاضر؛ لأنه فضّل حكم الطواغيت على حكمه ﷺ، وكذا لو جوّز الحكم بغير شرع الله، ولو اعتقد أن حكم الله وشرع الله أحسن من غيره؛ لأنه استحلّ الحكم بغير ما أنزل الله، فكان بذلك مرتدّاً لإتيانه بناقض للتوحيد والإسلام.

ومن نواقض كلمة التوحيد: السخرية والاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَعَائِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْنَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ومن نواقض هذه الكلمة: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين بمال أو سلاح أو رأي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

ومن نواقض هذه الكلمة: اعتقاد أن أحداً يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ.

ومن نواقضها: الإعراض عن دين الله علماً وعملاً، فلا يتعلّمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ بِئَايَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

ومن نواقضها: السحر، فمن فعله أو رضي به كفر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن نواقضها: تكذيب الله أو رسوله ﷺ، فإن كان مُظهراً للتكذيب فهو كافر، وإن كان مكذباً في الباطن لا في الظاهر فهو منافق في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ

بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ومن نواقض هذه الكلمة: الإباء والاستكبار عن العمل بما جاء عن الله ورسوله لو كان مصدقاً لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩].

ومن نواقض هذه الكلمة: الشك في الله أو رسوله أو فيما جاء عن الله أو رسوله، كالشك في قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

ومن نواقض كلمة التوحيد: إنكار البعث بعد الموت والتكذيب به أو الشك فيه، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

ومن نواقض كلمة التوحيد: التكذيب ببعض ما جاء عن الله أو رسوله، وهو من أنواع النفاق الاعتقادي - إن كان تكذيبه في الباطن - فهو من أهل الدرك الأسفل من النار، وإن كان مُظهراً للتكذيب فهو كافر.

ومن نواقض كلمة الإسلام والتوحيد: بُغض الرسول ﷺ، وهو من النفاق الذي يكون صاحبه من أهل الدرك الأسفل من النار.

ومن نواقضها: بُغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به وفعله فهو منافق من أهل الدرك الأسفل من النار.

ومن نواقضها: الفرح والسرور بضَعْف الإسلام والمسلمين وظهور عدوهم عليهم وانخفاض دين الرسول ﷺ، وهذا من النفاق الذي صاحبه من أهل الدرك الأسفل من النار.

ومن نواقض كلمة التوحيد: الكراهية لظهور الإسلام وعلوّه وانتصار دين الرسول ﷺ، فَمَنْ وقع في قلبه ذلك فهو منافق من أهل الدرك الأسفل من النار، ولو كان يقول لا إله إلا الله، ويصلي ويصوم ويتصدق؛ لأن المنافقين على عهد رسول الله ﷺ يفعلون ذلك وليسوا من الإسلام في شيء؛ لِمَا في قلوبهم من المرض والشك والنفاق.

ومن نواقض كلمة التوحيد: جَحْد اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ومن نواقضها: اعتقادُ أَنَّ لله صاحبة أو ولدًا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

ومن نواقضها: ادعاء النبوة أو تصديق من ادّعاها بعد النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ التِّيْنِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن نواقض كلمة التوحيد: جحدُ نبي من أنبياء الله أو ملك من الملائكة أو كتاب من كُتُب الله أو شيءٍ منه.

فاتقوا الله عباد الله وحقّقوا توحيدكم واحذروا مما ينقضه أو ينقّص ثوابه أو يجرحه لتفوزوا برضا ربكم وتسلموا من عذابه، فما أشدَّ حَظْر نواقض الإسلام على المسلم، وما أجدر المسلم بالاحذر منها، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، ونسأله العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم.

ونسأله الثبات على الإسلام والوفاة على الإيمان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المُلِكُ الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً خاتم النبيين وإمام المرسلين، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنه لا فرق في هذه النواقض - التي سبق ذكرها - بين الجادّ والهازل والخائف، ولا يُستثنى من ذلك إلا المُكْرَه بشرط أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَنْ مَنَّ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

ليحذر المسلم المزح والهزل والسخرية بشيء من دين الإسلام، فقد يقع بعض الناس في الكفر وهو لا يشعر، كأن يسخر بشيء من الشريعة أو بأهل العلم والصلاح والدين من أجل دينهم فيخرج من دائرة الإسلام وهو لا يشعر.

أيها المسلمون: احذروا نواقض الإسلام والتوحيد، تعلّموا دينكم واعرفوا الشرك ونواقض الإسلام لتحذروها، فقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»^(١)، وقال عمر بن الخطاب

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٨٤٧).

ﷺ: «إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام مَنْ لا يعرف الجاهلية»^(١) وذلك أنه إذا لم يعرف الجاهلية وقع في الشرك وهو لا يظن أنه شرك فيهلك.

فاتقوا الله والزموا كتاب ربكم وُسْنة نبيكم محمد ﷺ وتعلموها واعملوا بما فيهما وتحاكموا إليهما تصلحوا وترشدوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، وَمَنْ شَذَّ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا شَذَّ عَنْهُمْ فِي النَّارِ فِي الآخِرَةِ.

أَلَا وَصَلُّوا عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَجْمَعِينَ فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (درء تعارض العقل مع النقل) (٥/٢٥٩) / ومنهاج السنة النبوية (٤/٥٩٠)

بيان الشرك الأكبر وبعض أنواعه

الحمد لله المتفرد في وحدانيته بلا التباس، أحمده سبحانه حمداً يفوق عدد الأنفاس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مبرأة من الشرك والشكوك والأدناس، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي أشاد منار الإسلام وأحكم الأساس، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأكياس، ومن تبعهم بإحسان في تقوى الله وتوحيده، فهي خير لباس، وسلّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الكفر والشرك بالله أعظم الذنوب وأظلم الظلم، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر، وهو أول ما ذُكر في القرآن العظيم من المعاصي، فينبغي للمؤمن الاعتناء بمعرفة ذلك؛ لئلا يقع في شيء من الشرك وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر؛ ليكون على بصيرة في دين الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أيها المسلمون: إن أعظم الكفر وأغلظ إنكار وجود الله وعبادة المادة، وهذا مبدأ الشيوعية الملحدة الحاقدة (لا إله والحياة مادة)

إنكار للرب والمعاد، ومحاربة لدين الإسلام، وقد انتشر هذا المبدأ في المجتمعات الإسلامية واعتنقه بعض شبابها، وألّفت الكتب وقررت النظريات وألّفت المحاضرات التي تثبت وجود الله، وأن هذا الكون لا بد له من مدبر، مع أن الله فَطَرَ جميع طوائف بني آدم على الإقرار بوجود الله، قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ولا شك أن هذا الكفر والإلحاد أعظم أنواع الكفر على الإطلاق، وكفر كل كافر جزء من كفر الملحدين الشيوعيين، وهم أعظم كفراً من كفر كفار قريش وأبي جهل واليهود والنصارى.

ومن أنواع الكفر: إنكار رسالة مُحَمَّد ﷺ أو اعتقاد أنها خاصّة بالعرب، أو اعتقاد أن شريعته غير كاملة أو غير شاملة أو لا تصلح لهذا العصر.

ومن أنواع الكفر: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة من الواجبات أو المحرمات، أو المباحات من غير شبهة في ذلك بأن يدفع ويرد شيئاً مما أنزل الله في كتابه أو على لسانه رسوله ﷺ من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات بعد أن يعلم أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله أو نهى عنه، وإن كان مُقَرَّراً بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره.

ومن أنواع الكفر: السخرية باسم من أسماء الله أو أمر من أوامره أو وعيده أو وعده.

ومن أنواع الكفر: السجود لغير الله تعالى، أو سبُّ الله تعالى أو رسوله ﷺ، أو تشبيه الله بشيء من المخلوقات، أو نفي صفاته، أو القول بالحلول أو الاتحاد، أو القول بأن الله معه مدبر غيره.

ومن أنواع الكفر: امتهان القرآن بأي نوع من أنواع الامتحان.

ومن أنواعه: عدم تكفير مَنْ دان بغير الإسلام أو الشك في كفره.
ومن أنواعه: أن يأتي بقول يخرج عن الإسلام مثل أن يقول:
هو يهودي أو نصراني.

ومن أنواع الكفر: الغلو في نبي أو رجل صالح، بأن تجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرتني أو أغثني أو ارزقني أو اجبرني أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتِل، فإن الله تعالى إنما أرسل الرُّسل وأنزل الكتب لِيُعَبِّدَ وحده لا لِيُجَعَلَ معه إله آخر.

أيها المسلمون: ومن أنواع الشرك بالله الذبح لغير الله، كأن يذبح للجن لطلب الشفاء لمريض، وهذا يقع فيه بعض الناس، وهو لا يشعر أنه وقع في الشرك الأكبر، وذلك بأن يذهب إلى أحد المشعوذين فيطلب منه علاج مريضه فيأمره بأن يذبح شاة أو غيرها لِيُشْفَى مريضه فيستجيب له ويذبحها، والذبح عبادة لا يجوز أن تُصرف إلا لله، فصرفها لغيره شرك أكبر، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَأَنْحَرْتُ وَمَا قَرَّبْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وعن علي رضي الله عنه قال: حدَّثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله مَنْ ذبح لغير الله، لعن الله مَنْ لعن والديه، لعن الله مَنْ آوى محدثاً، لعن الله مَنْ غيَّرَ منار الأرض». رواه مسلم^(١)، وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذاب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله قال: «مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى

(١) صحيح مسلم: كتاب الأضاحي (١٩٧٨).

يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما فقرب ولو ذبابةً، فقرب ذبابةً فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ فضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد^(١).

وقد جمع الله بين هاتين العبادتين: الصلاة والنسك؛ لدلالتهما على القرب والتواضع والافتقار إلى الله وحسن الظن بالله وقوة اليقين بالله وطمأنينة القلب إلى الله وحده بخلاف ما عليه أهل الكبر والنفور وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم ما في صلاتهم إلى ربهم والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا الشرك قليله وكثيره، وأخلصوا توحيدكم وجميع أعمالكم لله عز وجل؛ لتكونوا مؤمنين حقاً مهتدين في الدنيا، آمنين من العذاب في الآخرة. اللهم وفقنا للإخلاص في الأقوال والأعمال، وجنبنا الشرك في الظاهر والباطن، واجعلنا من عبادك المفلحين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغاماً لمن جحد توحيده وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الشمس والقمر، وسلّم تسليمًا كثيراً. أما بعد:

(١) تيسير العزيز الحميد ص(١٥٧).

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الشرك بالله أعظم الذنوب؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، والجنة حرام على صاحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وذلك لأن الشرك بالله أقبح القبيح وأظلم الظلم؛ لأنه تنقّص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، والشرك بالله مناقض للمقصود بالخلق والأمر منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» رواه مسلم^(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأخلصوا العمل لله، وابتعدوا عن الشرك قليله وكثيره، وابدعوا الله مخلصين له الدين حنفاء كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

واعملوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، وارضوا بهما واقبلوهما يستخلفكم في الأرض ويمكن لكم دينكم الذي ارتضاه الله لكم، ويبدل خوفكم أمناً، ويصلح أحوالكم وأعمالكم، وتكونوا سعداء في الآخرة.

وإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب الإيمان (١٤٨).

في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، ومن شددَّ عنهم في الدنيا شدَّ عنهم في النار يوم القيامة. ألا وصلُّوا على النبي المصطفى والرسول المجتبي نبي الرحمة والهدى نبياً وسيدنا وقدوتنا محمد ﷺ، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



بيان الشرك الأكبر والتحذير منه

الحمد لله الذي بَعَثَ النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، أحمده سبحانه أن هدانا للإسلام كَرَمًا منه وإحسانًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، شهادة مَنْ نَزَّهَ مَوْلَاهُ عَنِ الشَّرْكِ بِهِ، وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُ عِدْلًا وَلَا نَظِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ يُكْسِرُ أَصْنَامًا، وَيُهْدِمُ أَوْثَانًا، وَيَمْحُو شِرْكًَا مَخْذُولًا حَقِيرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَوْضَحَ مِنْهَجَ الْحَقِّ، وَدَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ، وَهَدَى إِلَى جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، وَحَذَّرَ مِنَ الشَّرْكِ وَجَمِيعِ الْمُنْهَيَاتِ، وَبَالَغَ فِي النَّهْيِ وَالتَّحْذِيرِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى اللَّهِ يَسِيرُ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعرفوا نعمة الله عليكم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فإن حاجة الناس بل ضرورتهم إلى ذلك أعظم من حاجتهم وضرورتهم إلى الطعام والشراب والهواء قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٣﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ [الأنعام: ٤٨-٤٩]، وإن الله خلقهم أول ما خلقهم على الفطرة وأوحى إلى أبيهم آدم بما تتوقف عليه مصلحتهم في ذلك الوقت، ثم لما طال الزمن وكثر بنو آدم اختلفوا فيما بينهم ووقعوا في الشرك بالله، فبعث الله إليهم رسوله نوحاً - عليه الصلاة والسلام - يدعوهم إلى التوحيد ويحذرهم من الشرك، وما زال الله تعالى يبعث الرُّسل من حين لآخر بحسب ما تتطلبه مصلحة عباده حتى ختم الله أنبياءه ورسله بخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، فدعا إلى التوحيد وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ونهى عن الشرك، وبالع في التحذير، وحمى جناب التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك حتى قال ﷺ في آخر حياته وهو في سياق الموت: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

عباد الله: إن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وصفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتُبغضها وتكفر أهلها وتُعاديهم.

ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود بالحق وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتُعاديهم، وهذه هي ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٤٤٤١)، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩).

عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

والطاغوت أيها الإخوة عام في كل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، ولا يكون الإنسان مؤمناً حتى يكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي مشتملة على نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله وإثبات جميع أنواعها كلها لله وحده لا شريك له.

ومن الطواغيت بل رؤوس الطواغيت: مَنْ دعا إلى عبادة غير الله، ومن عُبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن غير أحكام الله تعالى، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

أيها المسلمون: إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة، فالشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَيْهِ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

والحنيفية: ملة إبراهيم وهي أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإن أعظم ما جاءت به رُسُلُ الله جميعاً هو أن لا يُشرك مع الله في عبادته أحد، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وإن الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي ينافي التوحيد بالكلية ولذلك لا يغفره الله وتُحبط معه جميع الأعمال، ويخلد صاحبه في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وقد حرم الله الجنة على المشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، والشرك ظلم عظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وذلك أن المشرك سوى المخلوق بالخالق وصرف إليه محض حق الخالق، وذلك ضلال مبين كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [٩٦] تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سُوِّيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨].

فاتقوا الله أيها المسلمون واستقيموا على طاعة الله وتوحيده، واغتنبوا بما من الله عليكم من اتباع ملة أبيكم إبراهيم ونبىكم محمد عليهما الصلاة والسلام من عبادة الله مخلصين له الدين، واجتنبوا الشرك قليله وكثيره صغيره وكبيره؛ لتفوزوا بما وعد الله به الموحدين المخلصين من الكرامة في الآخرة والحياة الطيبة في الدنيا، اللهم ثبتنا على التوحيد والطاعة وجنّبنا الشرك والتفريط والإضاعة.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيُّه وخليته من خلقه، وصلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد، توحيد الله والإخلاص له، وهو الإيمان بالله ورسوله. تعاهدوا إيمانكم أيها المسلمون بالإخلاص لله وطاعته والبُعد عن نواهيه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، قُوا إيمانكم بالمحافظة على فرائض الله وترك محارم الله، واحذروا الفسوق والعصيان فإن يُضعف الإيمان، وإن من ما يزيد الإيمان تلاوة كتاب الله بتدبُّر ورغبة ورهبة تلاوة مستفيد وطالب للهداية، تلاوة متدبِّر متفكِّر وجِل خائف.

فالزموا عباد الله كتاب ربِّكم وسُنَّة نبيكم وتعلّمواهما واعملوا بما فيهما في كل شأن من شؤون حياتكم؛ لتحصلوا على العزّة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وذلك أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم، وفي أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ عنهم في الدنيا شذَّ في النار في الآخرة.

ألا وصلُّوا على مُحمد خير الورى، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



بعض أنواع الشرك الأكبر

الحمد لله الذي تقدّس عن الشرك والنظير، وتنزّه عن صاحبة والولد والوزير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معين له، ولا ظهير، وأشهد أن مُحمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والتشميم، ومنّ على نهجهم إلى الله يسير، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى، واعلموا أن الشرك مضاد للتوحيد، ومنه ما يُخرَج من ملة الإسلام، إذا فعله المسلم ارتدّ عن دينه وخرج من الملة، فكان كافراً حلال الدم والمال والعياذ بالله، إلا إذا تاب منه وأتاب.

والشرك أنواع كثيرة. فمن أنواعه: الشرك في الدعاء، فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أو طلب منه المدد أو الشفاء أو تفريج كربة أيّاً كان آدمياً أو ملكاً أو نبياً أو جنيّاً أو جماداً، أو حجراً أو شجراً، أو غير ذلك، فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فصار بذلك مرتدّاً عن دينه والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ومن أنواع الشرك الأكبر: الشرك في النية والإرادة والقصد، وهو يتعلق بأعمال العبد وأقواله الباطنة دون الظاهرة، فمن قصد بعمله من صلاة أو صيام أو ذبح أو نذر أو استعاذة من أعمال العبد التعبدية غير الله، فقد وقع في الشرك الأكبر، وذلك كمن أسلم

لأجل الدنيا من المنافقين الذين لا يريدون وجه الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّي فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا الشرك هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتبت عليه عقوبات في الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه، وهو الذي وقع فيه المشركون من الأمم، وقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ بالنهي عنه والأمر بتوحيد الله ﷻ.

ومن أنواع الشرك الأكبر: الشرك في المحبة، وهي المحبة الخاصة وهي محبة العبادة، بأن يحب معبوداً غير الله يذل له ويخضع، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وذلك أن أصل العبادة الذي لا يصلح العمل إلا به هو غاية المحبة لله في غاية الذل له، والغاية تفوت بدخول الشرك بالله، وبه يبطل هذا الأصل؛ لأن المشرك لا بد أن يحب معبوده وأن يذل له، ففسد الأصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية في المحبة والذل لله إلا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل على الله وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة.

ومن أنواع الشرك الأكبر: الشرك في الطاعة، وهو أن يطيع عالماً أو أميراً أو رئيساً أو ملكاً أو والداً أو زوجاً أو غيرهم في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله، فيكون بذلك قد اتخذه رباً من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَحَدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١]،
وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿أَتُخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، فقلت له: إنا لسنا
نعبدهم قال: «ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا
حرموا عليهم شيئاً حرموه» رواه الترمذي (١).

أيها المسلمون: ومن أنواع الشرك الاستعاذة بغير الله، كأن
يذهب إلى أحد المشعوذين والسحرة فيأمره بتعاويد وتعازيم شركية أو
بتعازيم وتعاويد لا يعرف معناها فيقع في الشرك وهو لا يشعر،
ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويد التي لا يُعرف معناها خشية
أن يكون فيها شرك، وقد شرع الله لأهل الإسلام أن يستعينوا به
وبأسمائه وصفاته، لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن،
فعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ
نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق لم يضره
شيء حتى يرحل من منزله ذلك». رواه مسلم (٢)، وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية
فيقول: أعوذ بعزير هذا الوادي فزادهم ذلك إثماً (٣)، وذلك قوله
تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿٦﴾
[الجن: ٦]، وقال بعضهم: فزاد الإنس الجنَّ باستعاذتهم بالجن

(١) سنن الترمذي: أبواب التفسير (٣٠٩٥)

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨).

(٣) تفسير الطبري (٣٢٢/٢٣) في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ
بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿٦﴾ [الجن: ٦].

باستعاذتهم بعزيمهم جرأة عليهم، وازدادوا هم بذلك إثماً.

أيها المسلمون: قد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، وذلك أن الاستعاذة معناها الالتجاء والاعتصام، فالعائد قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً، وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة، لهذا فقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وفي سورة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] فهي عبادة يجب صرفها لله، وحق المستعيز بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه ويتوكل في ذلك عليه، فمن فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

أيها المسلمون: لقد قطع الله عروق شجرة الشرك من قلب المشرك بأمر أربعة في قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

أحدها: أن من دون الله لا يملك مثقال ذرة مع الله في السماوات ولا في الأرض، والذي لا يملك مثقال ذرة لا ينفع ولا يضر، بل الله المالك المدبر المتصرف وحده.

الثاني: أن من دون الله ليس له شريك مثقال ذرة من السماوات

والأرض، فهو لا ينفع ولا يضر.

الثالث: أنه ليس له مُعين من خلقه، بل هو المُعين لهم في أمور دنياهم وأخراهم؛ لكمال غناه عنهم وضرورتهم إليه، فهم لا ينفعون ولا يضررون.

الرابع: أنه لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه، فالشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرُّم: ٤٤] وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأخلصوا لله أعمالكم وأفردوه سبحانه بالدعاء والرغبة والرغبة والتوكل والذبح والنذر والاستعاذة وغير ذلك من أنواع العبادة؛ ينصركم في الدنيا ويدخلكم مُدخل صدق في الآخرة.

اللهم ارزقنا الإخلاص في أعمالنا، واجعلنا من المؤمنين حقاً، وسلّمنا من شرور الدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وامتنَّ علينا بالإيمان بالسُّنة والقرآن، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا أحد يُحصي نِعَمه على أهل الإسلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحمداً عبده ورسوله الداعي إلى الجنة دار السلام، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولي الجد والتشمير فيما

يرضي الملك العلام ومن تبعهم وسار على نهجهم ما تعاقب الضياء والظلام وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى، واعلموا أن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا نعمة الإسلام حيث جعلنا موحدين، وجعلنا مسلمين، وجعلنا مؤمنين بمحمد ﷺ، وجعلنا قابلين لهذا النور الإلهي، وجعلنا قابلين لمنة الله علينا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فاحمدوا الله على هذه النعمة أيها المسلمون، وقيدوها بالإخلاص، إخلاص الدين والطاعة والعمل لله لتتم بذلك النعمة وتكتمل الهداية وتحصل السعادة في الآخرة والعزة والرفعة في الدنيا. واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على جماعتهم، ومن شدَّ عنهم في الدنيا شدَّ عنهم في النار يوم القيامة.

ألا وصلُّوا على نبي الرحمة والهدى نبينا وقدوتنا وإمامنا محمد ﷺ كما أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



بيان الشرك الأصغر، والحلف والرياء

الحمد لله الدائم بلا زوال، المتعالي عن الأشباه والأمثال،
أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
شهادة مبرأة من الشرك والشكوك والأدران، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا
عبده ورسوله، حذّر من الشرك والبدع والضلال، ودعا إلى التوحيد
وشرف الخلال، اللهم صلّ على عبده ورسوله مُحَمَّد، وعلى آله
وأصحابه وأتباعه حَمَلَةَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن أعظم شهادة
وأفرضها على الخلق قولاً وعملاً واعتقاداً ما شهد الله به لنفسه من
اختصاصه بالإلهية دون جميع خلقه أزلاً وأبداً، وهي الشهادة لله
بالوحدانية، وأن الشرك والكفر والنفاق ينافي التوحيد بالكلية أو
ينافي كماله الواجب إذا كان شركاً أو كفراً أصغر أو نفاقاً عملياً،
وقد ورد في الكتاب والسنة تسمية كثير من المعاصي بالشرك والكفر
والنفاق، فدلّ ذلكم على أنها أكبر من المعاصي وأنها وسيلة إلى
الشرك الأكبر والكفر والنفاق الاعتقادي.

أيها المسلمون: من أنواع الشرك الأصغر: الحلف بغير الله
تعالى، كالحلف بالنبي أو بالأمانة أو بالآباء أو بالشرف أو بالحياة
أو غير ذلك، كلّه وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ وَبَيَّانُ أَنَّهُ شَرْكٌ، قال ﷺ فيما رواه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(١)،

(١) رواه الترمذي: أبواب النذور والأيمان (١٥٣١) وقال: حديث حسن.

وقال ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»^(١)، وهذا وعيد شديد، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم، مَنْ حلف بالله فليصدق، وَمَنْ حُلف له بالله فليرض، وَمَنْ لم يرض فليس من الله»^(٢)، وقال ﷺ: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٣)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً»^(٤).

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً من الكبائر، إلا أن الحلف بغير الله شرك والشرك أكبر من الكبائر، وذلكم أن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، ولا ينبغي أن يكون التعظيم بالحلف بغير الله ﷻ. وقال النبي ﷺ: «من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله» متفق عليه^(٥).

أيها المسلمون: ومن أنواع الشرك الأصغر: الرياء والسُّمعة والتصنع للخلق، وهذا الشرك خفيّ ويخشى على الصالحين فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفيّ، يقوم الرجل فيصلّي فيُزيّن صلاته لِمَا يرى من نظر رجل»^(٦)،

- (١) رواه أحمد في المسند (٢٢٩٨٠)، وأبو داود في سننه: كتاب الأيمان والندور (٣٢٥٣). والحاكم (٧٨١٦) وقال: صحيح الإسناد ووقفه الذهبي.
- (٢) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الكفارات (٢١٠١). وقال البوصيري: صحيح الإسناد رجاله ثقات [مصباح الزجاجة ١٣٣/٢].
- (٣) صحيح مسلم: كتاب الأيمان (١٦٤٦).
- (٤) رواه عبد الرزاق (١٥٩٢٩) والطبراني في الكبير (٨٩٠٢) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد ٤/١٧٧].
- (٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٦١٠٧)، صحيح مسلم: كتاب الأيمان (١٦٤٧).
- (٦) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد (٤٢٠٤).

وفي الحديث: «مَنْ سَمِعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللهُ بِهِ»^(١) وسُمِّيَ هذا الشرك خفياً؛ لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم^(٢)، وقد يكون الرياء محضاً بأن يكون العمل لغير الله فيكون شركاً أكبر كحال المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وقد يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه الرياء، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره، وإن استرسل معه ففي ذلك خلاف بين العلماء من السلف، ورجح الإمام أحمد وابن حجر أن عمله لا يبطل وأنه يُجازى بنيته الأولى، وأما إن شارك الرياء العمل من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه كحديث شداد بن أوس مرفوعاً: «مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ... وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي، فَمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئاً فَإِنَّ جِدَّةَ عَمَلِهِ وَقَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لَشْرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ» رواه أحمد^(٣).

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق (٦٤٩٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرفائق (٢٩٦٨) واللفظ له.

(٢) في صحيحه: كتاب الزهد (٢٩٨٥).

(٣) في المسند برقم (١٧١٤٠).

أيها المسلمون: ومن أنواع الشرك الأصغر عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق بالواو، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة لأنها في وضعها لمطلق الجمع، وتسوية الخالق بالمخلوق بأي نوع من العبادة شرك، ويجوز العطف بالفاء وثم؛ لأنها تفيد الترتيب والترأخي، ولذلك ورد النهي عن العطف بالواو وجوازه بـ (ثم)، فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح^(١)، وعن قتيلة «أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب، والكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي^(٢) وصححه، وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله عدلاً، قل: ما شاء الله وحده»^(٣). وعن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول^(٤): أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان، وهذا إنما يكون فيما يقدر عليه الحيّ الحاضر، بخلاف الميت والغائب ممن لا يسمع كلاماً ولا يرد جواباً، فإنه لا يجوز عطف مشيئته على مشيئة الله مطلقاً، أعوذ بالله

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب (٤٩٨٠).

(٢) المجتبى، كتاب الأيمان والنذور (٣٧٧٣) ونقل تصحيحه للحديث: ابن حجر، فتح الباري (٥٤٠/١١).

(٣) السنن الكبرى (١٠٧٥٩) وبنحوه الإمام أحمد (١٨٣٩) وحسنه الحافظ العراقي، تخريج الإحياء (١٠٥٦/١).

(٤) شرح السنة للبخاري (٣٦١/١٢).

من الشيطان الرجيم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحقّقوا التوحيد، وأخلصوا
الأعمال لله، واحذروا الشرك الجلي والخفي، ولا تلبسوا إيمانكم
بشرك؛ لتكونوا ممّن لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا.
اللهم وفّقنا للتوحيد والإخلاص والاستقامة، واجعلنا من
الآمنين من العذاب في الآخرة، واجعلنا ممّن يلقاك بقلب سليم،
وبارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذّكر
الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي وفّق عباده المؤمنين لتوحيده وإخلاص العمل
له، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة،
ونصّح الأمة صلّى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه
بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:
فإن الشرك الأصغر منتشر بين الناس، كالحلف بغير الله،
والتشريك بين الخالق والمخلوق في المشيئة وغيرها، وإسناد الأشياء
إلى الأسباب دون المسبّب كأن يقول: لولا فلان لحصل كذا، أو
لما حصل كذا، وهذا من التنديد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَا
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من ديب النمل
على صفاة سوداء في ظلمة الليل^(١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦٢/١)، برقم (٢٢٩). وإسناده لا بأس به، وروي معناه مرفوعاً
المسند (١٩٦٥٠).

وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك، وفي الحديث أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلني لله ندّاً، بل ما شاء الله وحده»^(١).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الشرك الأكبر والأصغر؛ ليسلم لكم توحيدكم وإيمانكم وتكونوا مؤمنين حقاً، والزموا كتاب ربكم وسنة نبيكم، واعملوا بها؛ لتكونوا أعماماً في الدنيا سعداء في الآخرة، فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على جماعتهم، ومن شذ في الدنيا شذ عنهم في الآخرة.

ألا وصلوا على خاتم النبيين ورسول رب العالمين، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



(١) سبق تخريجه ص ٥٨.

التمائم والرقى

الحمد لله المتوحد بالعظمة والجلال، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى عن الأنداد والأشباه والأمثال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا إلى التوحيد وأشرف الخلال، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان في الأعمال والأقوال، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى أيها الناس، واعرفوا قدر التوحيد والشرك وتأملوا قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] لتعرفوا عظم التوحيد وفضله وخطورة الشرك.

أيها المسلمون: إن من الشرك تعليق التمام والأوتار على الأطفال والدواب وغيرهما من أجل العين.

ومن أنواع الشرك: الرقى والعزائم الشركية، ومن أنواعه التّولة، وهو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، وهو ضرب من السحر، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرقى والتمائم والتّولة شرك»^(١).

وقد جاءت الأحاديث بالأمر بقطع الأوتار والتمائم والنهي

(١) رواه أحمد في المسند (٣٦١٥)، وأبو داود في السنن: كتاب الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠). والحاكم (٨٢٩٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

عنها، ففي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يَبْقَيْنَ في رقبةٍ بعيرٍ قلادةً من وترٍ أو قلادةً إلا قطعت^(١). وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويُعلِّقون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً، وقد ورد الوعيد الشديد على من علَّق وتراً، فعن رويغ بن ثابت بن السَّكن الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويغ، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عَقَدَ لحيته أو تقلَّد وتراً أو استنجدى برجيع أو عظم، فإن محمداً بريء منه»^(٢)، كما ورد الدعاء على من علَّق تميمية أو دَعَا، فعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من علَّق تميمية فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق ودَعَا فلا ودَّع الله له»^(٣)، وفي رواية: «من علَّق تميمية فقد أشرك»^(٤). وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه»^(٥).

وكما ورد عن السلف فضل ثواب من قطع تميمية من إنسان، فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «من قطع تميمية عن إنسان كان كعُدل رقبة»^(٦).

- (١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٥)، صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة (٢١١٥).
- (٢) رواه أحمد في المسند (١٦٩٩٥)، وأبو داود في السنن: كتاب الطهارة (٣٦)، والنسائي في سننه: كتاب الزينة (٥٠٦٧). [وجود إسناده ابن مفلح، الآداب الشرعية (٣/١٥٤)، وقوله: (أو تقلد وتراً) أصله في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٥) ومسلم، كتاب اللباس (٢١١٥)].
- (٣) رواه أحمد في المسند (١٧٤٠٤)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقي والتمائم (٦٠٨٦).
- (٤) رواه أحمد في المسند (١٧٤٢٢). وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات [مجمع الزوائد ١٠٣/٥].
- (٥) رواه أحمد في المسند (١٨٧٨١)، والترمذي في سننه: أبواب الطب (٢٠٧٢) وقال: وعبدالله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، وكان في زمن النبي ﷺ أ.هـ.
- (٦) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الطب (٢٣٤٧٣).

وهذا عند أهل العلم له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي.

والرقى: جمع رقية، وهي التي تسمى العزائم، وهي ممنوعة وخصَّ منها الدليل بالجواز ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، كما في حديث بريدة بن الحُصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(١)، أي لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة، ولا بأس بالرقى إذا كانت بحق، وهي ما اجتمع فيها شروط ثلاثة؛ أحدها: أن تكون بكلام الله أو أسماء الله أو صفاته أو التعوذات الشرعية، الثاني: أن تكون باللسان العربي وما يُعرف معناه. الثالث: أن يعتقد أن الرقية سبب وأنها لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

والتمايم: التي تُعلق إذا كانت من غير القرآن فهي ممنوعة - بدون خلاف - لأنها تنافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله، وينافي قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضرر إلى أحد سوى الله، فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، ولذلك بين النبي ﷺ: «أَنْ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ»^(٢) أي: وكَلَّه الله إلى غيره فَضَلَ وَهَلَكَ، وودعا النبي ﷺ على مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً أَوْ وَدَعَةَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُتَمَّ لَهُ، وَلَا يَجْعَلُهُ فِي دَعَةٍ وَلَا سَكُونٍ،

(١) رواه أحمد (٢٤٤٨) ومسلم (٢٢٠) موقوفا، ورواه ابن ماجه مرفوعا (٣٥١٣)، ولهذا قال الترمذي: وروى شعبة هذا الحديث عن حصين عن الشعبي عن بريدة عن النبي ﷺ (١٠٥٧)، ورواه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين موقوفا (٥٧٠٥)، ووصله أحمد (١٩٩٠٨) وأبو داود (٣٨٨٤) والترمذي (١٠٥٧).

(٢) سبق تخريجه ص ٦٢.

فقال: «من علّق تميمة فلا أتمّ الله له، ومن علّق ودعة فلا ودع له»^(١).

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحافظوا على توحيدكم، وأخلصوه وابتعدوا عما يجرحه أو يضعفه أو ينقص كماله من تعلّق لغير الله من تميمة أو غيرها؛ أي فائدة في حُرُوز أو خيوط أو حلّق تكون في العنق أو اليد أو غير ذلك؟ فالنافع الضار هو الله وحده فاعتمدوا بقلوبكم عليه والهجو بالتضرع والإنابة إليه، واخضعوا له وادعوه وحده في كشف ما نزل بكم من شدة أو ضرر، فالمعوّل عليه وحده والأمر بيده، فاعبدوه وتوكلوا عليه، فله غيب السماوات والأرض، وإليه يُرَجَع الأمر كُلُّه، وما الله بغافل عمّا تعملون.

اللهم ارزقنا الإنابة إليك، والاستقامة على طاعتك، واجعل طمعنا ورجاءنا فيك دون غيرك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذّكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي بيده النفع والضرر، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه توكلت وإليه متّاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله واعلموا أن النفع والضرر بيد الله، فاعتمدوا بقلوبكم عليه، واسألوا كشف ما نزل بكم من شدة أو كرب، ولا مانع من

(١) سبق تخريجه ص ٦٢.

فعل الأسباب الشرعيّة من التداوي والرقية الشرعية، واحذروا تعليق التمام، فإن النبي ﷺ نهى عنها حسماً لمادة الشرك، وفعل الأسباب مأمور بها كما يُتقى الجوع بالأكل، والظمأ بالشرب، والحرّ والبرد بما يخفف ذلك أو يزيله، فكذلك يُتداوى ويتعالج من المرض، ولكن لا يعتمد المسلم على هذه الأسباب، بل يعتمد على الله وحده ويتوكل عليه، ويسأله كشف ما نزل به لعلمه أن الشفاء بيده وحده سبحانه، ولكن يفعل الأسباب المشروعة طاعة لله ولرسوله وامتنالاً للأمر بفعلها.

فاتقوا الله عباد الله وتوكلوا على الله، واضرعوا إليه في طلب حوائجكم منه عملاً بقول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٥٥] [الأعراف: ٥٥]، وادعوه وأنتم خائفون طامعون في حصول ما تطلبونه وتسألونه منه سبحانه عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦] [الأعراف: ٥٦].

وتدبروا كتاب ربكم وسنة نبيكم واعملوا بهما واحكموا بما فيهما وتحاكموا إليهما تكونوا أعزاء في الدنيا وسعداء في الآخرة. والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله مع جماعتهم، ومن شدّ عنهم في الدنيا شدّ عنهم في النار يوم القيامة.

ألا وصلوا على محمد المصطفى والرسول المجتبي فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



لبس الحلقة والخيط ونحوهما

الحمد لله المتفرد بكمال العزّ والجلال، أحمدته سبحانه وأشكره على جزيل الإحسان والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتصف بصفات الكمال، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبداً لله ورسوله، المخصوص من الرب بأشرف مقامات الإرسال، اللهم صلّ وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، ومن تبعهم بإحسان في الأفعال والأقوال، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه لا بدّ للمسلم الموحد من معرفة التوحيد والعمل به ومعرفة قدره وإنكار الشرك ونفيه وبغضه وبغض أهله، وتكفير من فعله، ولا بدّ من معرفة قدر الشرك، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء ممّا دلّت عليه كلمة التوحيد، ومن لم يأت بما دلّت عليه لم يرفع رأساً بما خلق له من الدين الذي بعث الله به رسوله.

أيها المسلمون إن من الشرك لبس حلقة أو خيط أو نحوهما بقصد رفع البلاء بعد نزوله أو بقصد دفعه قبل أن ينزل، وذلك لتعلق القلب بغير الله في دفع ضرر مما قد نزل ومما لم ينزل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨]، فإذا كان آلهتهم التي

يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضرر أراد الله بعبده أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم أن يكون معبودهم هو الله وحده، وكذلك الحَلقة والخيط لا تأثير لهما في دفع بلاءٍ أو رفعه، بل إن ذلك قد يكون سبباً في زيادة ذلك البلاء لما روى عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْرٍ فقال: «ما هذه؟» فقال: من الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»^(١). والواهنة مرض يأخذ في العضد أو عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، وأمره النبي ﷺ بنزع الحلقة وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً؛ لأن المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لأنه علّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، ولا بن أبي حاتم^(٢) أن حذيفة دخل على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٦].

وهذا يدل على أن تعليق الخيط لدفع الحمى من الشرك وأنه ينبغي الإنكار بالتغليظ على مَنْ فعل ذلك، وأن الصحابة يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك المنهي عنه؛ لأنه ينافي الإخلاص.

أخي المسلم: ومن أنواع الشرك الأصغر نسبة حصول شيء أو عدم حصوله إلى السبب المخلوق من دون الله ولو باللفظ، كأن يقول: لولا كذا أو لما حصل كذا، كأن يقول: لولا زيد لما حل لي ربح في هذه التجارة أو لحصل لي منها ربح، وهذا من الشرك

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه في السنن: كتاب الطب (٣٥٣١). وابن حبان في صحيحه (٦٠٨٥) والحاكم (٧٥٠٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وحسنه ابن مفلح، الفروع (١٧٤/٢).

(٢) راجع تفسير ابن أبي حاتم، رقم (١٢٠٤٠).

الخفي لما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: «الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي. ويقول لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، فإن هذا كله به شرك» أهـ^(١)

وهذا من ابن عباس - رضي الله عنهما - تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى، ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأنني أتيت على نفرٍ من اليهود فقلت: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون عُزيرُ ابن الله، قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفرٍ من النصارى فقلت: إنكم أنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلت كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع

(١) راجع تفسير ابن أبي حاتم، رقم (٢٢٩).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في السنن: كتاب الكفارات (٢١١٨).
وصححه الضياء المقدسي في المختارة (١٤٣/٨).

للخَلْق والحلِف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله، ونت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده...»^(١) انتهى.

قلت: فإن اعتقد أن مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الخالق كان شركاً أكبر.

أيها المسلمون: إن للشرك الخفي كَفَّارة وهو أن يدعو بما ورد عن النبي ﷺ في حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا قلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول كل يوم ثلاث مرات: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لِمَا لا أعلم»^(٢).

فاتقوا الله وأخلصوا أعمالكم لله، واحذروا الشرك كبيره وصغيره؛ لتلقوا ربكم بقلوب سليمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعْرَاء: ٨٨-٨٩]، اللهم ارزقنا الإخلاص وجنِّبنا الشرك في الأقوال والأعمال، وبارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه يغفر لكم.

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٢).

(٢) مسند أبي يعلى (١/٦٠)، وهو في مسند الإمام أحمد، برقم (١٩٦٠٦) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي في "المجمع" (١٠/٢٢٣): رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أعزَّ أهل الإيمان بطاعته، وأذلَّ أهل الشرك بمعصيته، أحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين حقَّقوا إيمانهم وتوحيدهم وأخلصوه لله، ومَنْ تبعهم بإحسان في قبول هدي الله وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو توحيد الله وإخلاص العمل له، وهو دين الرُّسل جميعاً، والشرك ينافي التوحيد، وينافي دين الأنبياء جميعاً، ولذلك اعتنى الإسلام بالتوحيد وعظَّمه وبين فضله؛ لأنه أساس الأعمال الصالحة، ونهى عن الشرك وبالغ في التحذير منه، وسدَّ الذرائع الموصلة إليه؛ لأن الشرك إذا كان أكبر أجبط الأعمال، وإن كان أصغر أضعف الإيمان.

فاتقوا الله عباد الله، وحقَّقوا توحيدكم وإيمانكم واحذروا الشرك والبدع والمعاصي التي تُحبط العمل وتُنقضُّ الإيمان أو تضعفه وتُنقص ثوابه، وتدبِّروا كتاب ربكم وسُنَّة نبيكم واعملوا بهما وحكموهما وتحاكموا إليهما في أموركم وشؤونكم؛ لتكونوا أعزَّاء في الدنيا وسعداء في الآخرة.

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على جماعتهم، ومَنْ شدَّ في الدنيا شدَّ في النار في الآخرة.

ألا وصلُّوا على خاتم النبيين ورسول رب العالمين، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الموالاتة والمعاداة - الولاء والبراء

الحمد لله الذي منَّ علينا بالإيمان والإسلام، أحمده وأشكره على ما أفاض علينا من الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرض الموالاتة في الله والمعاداة فيه، وجعلها من أصول الإيمان والإسلام، ونهى عن موالاتة أهل الشرك والكفر وجعلها من الذنوب العظام، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان ما تعاقب الضياء والظلام، وسلِّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن الموالاتة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبُغض في الله أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، بل إنه أوثق عُرى الإيمان كما في حديث ابن عباس - مرفوعا -: «أوثق عُرى الإيمان الموالاتة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبُغض في الله»^(١).

فالله تعالى قد افترض على المؤمنين عداوة الكافرين من المشركين واليهود والنصارى والملحدين والمنافقين الذين يعرفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله، وأمر بجهادهم والإغلاظ عليهم بالقول والفعل، وتوعدهم باللَّعن والقتل فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٣]، وقال: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٧٦/١٢)، وشرح السنة للبغوي (٥٣/١٣).

[الأحزاب: ٦١]، قال ابن عباس في الآية: «جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان»^(١)، وقد قطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال بعض المفسرين: نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار، وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] في تفسير القرطبي^(٢) على هذه الآية: نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود دخلاء وولائج يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُوتِ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

أيها المسلمون: لقد عقد الله الموالاة بين المؤمنين وقطعهم من ولاية الكافرين وأخبر أن الكفار يتولّى بعضهم بعضاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٨-٣٥٩). وله شواهد من حديث ابن مسعود كما عند الطيالسي (٣٧٨) والطبراني في الأوسط (٤٤٧٩) ومن حديث البراء بن عازب كما في المسند (١٨٥٢٤).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٧٨).

ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢]، وأخبر أنهم إن لم يفعلوا وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم، فقال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣].

ولاشك أن الدين لا يتم ولا يُقام عَلمُ الجهاد وَعَلمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبُغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس كلهم على طريقة واحدة ومحبة واحدة من غير عداوة ولا بغضاء لم يحصل فرقانٌ بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولهذا نفى الله تعالى اجتماع الإيمان ومواداة مَنْ حَادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب فقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وتوعَّد الله مَنْ رَكَنَ إِلَى الكفار والظالمين بمسيس النار فقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٣] قال بعض المفسرين في الآية: «فالنهي متناول للانحطاط في هَوْتَهُم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم، ومدد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم».

أيها المسلمون: إن الإنسان إذا أظهر للكافرين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، فكيف إذا كان في دار منعة وقوة وعز للمسلمين، ثم استدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم وأعانهم عليه بالنصرة والمال

ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين؟ فهذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، نهى الله عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأخبر أن مَنْ تَوَلَّاهُمْ من المؤمنين فهو منهم، وهكذا حُكْمُ مَنْ تَوَلَّى الكفار من المجوس والوثنيين والملحدين من الشيوعيين وغيرهم، وقد بيّن الله تعالى أن مَنْ تَوَلَّى الكفار فهو منسلخ من ولاية الله في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي وَمَنْ يتولى الكفرة فليس من ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان:

أتحب عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الودّ عنك لعازب
فكيف يدعي مسلم محبة الله وهو يحب أعداءه ويتخذهم أولياء
ويظاھرهم على المؤمنين؟

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعرفوا قدر هذا الأصل العظيم «الموالاة في الله والمعاداة في الله»، وحقّقوه وأبغضوا الكفرة والمجرمين، واحذروا من توليهم أو موالاتهم، وأحبوا المؤمنين والموحّدين ووالوهم؛ ليسلم لكم إيمانكم وتذوقوا طعم الإيمان وتلقوا ربكم بقلوب سليمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، اللهم ثبتنا على الإسلام، واعصمنا من الفتن، وارزقنا حبك وحب من يعمل بطاعتك. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، وليّ المتقين، وناصر حزبه المؤمنين، أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله من خلقه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاهم وأحبهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، والحب في الله، والبغض في الله من أكد الأصول الإيمانية القلبية التي تدلُّ على صحة إيمان العبد وسلامته، واستقامته، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان وحلاوته ولذته ولو كان كثير العباداة من صلاة وصوم حتى يتحقق فيه هذا الأصل العظيم ويستقيم عليه، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو من صدر هذه الأمة: «ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلواته وصومه حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويُعادي في الله - ثم قال -: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً»^(١). وهذا قاله ابن عباس في القرن الأول، فكيف لو رأى القرون المتأخرة الذي صارت فيه مؤاخاة أكثر الناس على الشرك والبدع والمعاصي.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحقّقوا هذا الأصل العظيم،

(١) رواه ابن المبارك، الزهد (٣٥٣) وابن أبي شيبة (٣٤٧٧٠) من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد به.

واستقيموا عليه حتى يصحّ لكم إيمانكم، ويسلم لكم دينكم،
واستمسكوا بكتاب ربكم وسُنَّة نبيكم تكونوا أعزّاء في الدنيا وسعداء
في الآخرة.

وإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحمد ﷺ،
وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي
أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ عنهم في الدنيا شذَّ
عنهم في النار في الآخرة.

ألا وصلُّوا على محمد خير البرية وأشرف رسل الله فقد أمركم
الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



الولاء والبراء

الحمد لله الذي جَعَلْنَا من أهل الإيمان والإسلام، أحمدته، وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جَعَلَ الموالاتة في الله والمعاداة فيه أوثق عُرى الإيمان والإسلام، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، حَذَّر من موالاتة أهل الشرك والكفر؛ لأنها من الذنوب العظام، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان في عبادة الملك العَلَّام، وسلَّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى واعلموا أن موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين فرض على كل مسلم، وأن الحب في الله والبُغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة فيه من أصول الإيمان العظيمة، بل هو أوثق عُرى الإيمان، وقد أخبر الله أن تولِّي الكُفَّار منافٍ للإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١]، كما بيَّن الله أن تولِّي الكفار موجب لسخط الله والخلود في العذاب فقال تعالى: ﴿تَكَرَّى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]، كما بيَّن الله أن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

أيها المسلمون: يرخص في موالة الكفار في حال واحدة وهي حالة الإكراه، وهو من يستولي عليه الكفار، فيقولون له: اكفر وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه ولا يمكنه التخلص إلا بموافقتهم، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً عليه معتقداً له، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، فتكون المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ينتظر زوال المانع كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً أو طمعاً في الدنيا؟

أيها المسلمون: إن الكفار واليهود والنصارى لا يرضون من المؤمن إلا بالكفر والدخول معهم في ملتهم، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُم حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩]، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]، فكيف بعد ذلك كله يسوغ للمسلم، موالاتهم، بل الفرض عليه معاداتهم وبُغضهم وجهادهم بالسيف والقلم واللسان والمال، وكلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة ونهيبهم عن مجالستهم كثير.

قال الأوزاعي: «كانت أسلافكم تشتد على أهل البدع ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم»^(١).

(١) البدع لابن وضاح، ص(٢٧).

وقال الحسن: «لا تجالس صاحب بدعة، فإنه يُمرض قلبك»^(١).

وقال إبراهيم: «لا تجالسوا أصحاب البدع، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم»^(٢).

وهذا في أهل البدع، فكيف بمن جالس الكفار والمنافقين وسعى في مصالحهم وذنب وحسن حالهم؟ إنه حريٌّ أن يُحشَر معهم كما في حديث علي مرفوعاً: «لا يحب رجل قوماً إلا حُشِرَ معهم»، وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «المرء مع مَنْ أَحَبَّ»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقياً». وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «الشرك أخفى من دبيب الذر، على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]». رواه الحاكم^(٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الحب على شيء من الجور وإن قلَّ، والبغض على شيء من العدل وإن قلَّ من الشرك، فالواجب على المسلم أن يحذر أشدَّ الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين؛ لئلا يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة الذي في سنن أبي داود^(٤): (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل)،

(١) المرجع السابق ص (٩٥).

(٢) المرجع السابق ص (١٠٠)، والإبانة لابن بطة (٤٣٨/٢).

(٣) في المستدرک (٣١٩/٢) برقم (٣٢٤٨).

(٤) كتاب: الأدب (٤٨٣٣).

ورُوي عن ابن مسعود أنه قال: «اعتبروا الناس بأخذانهم»^(١)، وقال عمر لأبي موسى الأشعري: «لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله». يعني الكفار..
أيها المسلمون: ممَّا سبق من الأدلة من الكتاب والسُّنة والآثار عن السلف يتبيَّن لنا أمورٌ من فعلها دخل في تلك النصوص وتعرَّض للوعيد بمسييس النار.

منها: التولي العام للكفار والمنافقين وأهل البدع.

ومنها: المودة والمحبة والخاصة.

ومنها: الركون إليهم.

ومنها: مداهنتهم ومداراتهم.

ومنها: طاعتهم فيما يتولون وفيما يشيرون.

ومنها: تقربتهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام.

ومنها: مشاورتهم في الأمور.

ومنها: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين، كإمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك.

ومنها: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

ومنها: مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم.

ومنها: البشاشة لهم والطلاقة.

ومنها: الإكرام العام لهم.

ومنها: استئمانهم وقد خونهم الله.

(١) معجم الطبراني الكبير (١٨٧/٩)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٤٣٩/٢).

- ومنها : معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل.
ومنها : مناصحتهم.
ومنها : اتباع أهوائهم.
ومنها : مصاحبتهم ومعاشرتهم.
ومنها : الرضا بأعمالهم.
ومنها : التشبه بهم والتزيي بزئهم.
ومنها : ذكرهم بما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكاماء.
ومنها : السكنى معهم في ديارهم.

ولا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم أو مع غيرهم كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] فمن تسبب بالدفع عنهم حمية أو أشار بكف المسلمين عنهم في حال كونهم حرباً للمسلمين فهو من أعظم الموالين المحبين للكفار.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحققوا هذا الأصل العظيم الذي هو أوثق عرى إيمانكم وإسلامكم، والوا في الله وعادوا في الله، وأحبوا في الله وأبغضوا في الله، وإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلواته وصومه حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله.

نسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين. اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما

فيه من الآيات والذِكر الحكيم.

أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، فتوبوا إليه واستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأفضل خلقه صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن تولّي المؤمنين وموالاتهم أصله محبة القلب، ثم ينشأ عن ذلك المساعدة والمعونة والنصرة، فمحبة القلب تقتضي النصرة والمساعدة والمناصحة.

ومن ذلك: معاشرتهم ومناصحتهم ونصرهم على أعدائهم.

ومن ذلك: نصر المجاهدين في سبيل الله بالنفس وبالمال وبالسلاح والعتاد والرأي، كالمجاهدين في سبيل الله في الأفغان، ونصر الأقليات الإسلامية في جنوب الفلبين، وفي أرتريا وغيرها على أعدائهم، ودعمهم بالمال والرأي والسلاح.

ومن ذلك: أن مَنْ أَحَبَّ شخصاً فعليه أن يأتيه ويخبره بأنه يحبه كما ورد في الحديث: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»^(١).

وإن عداوة الكافرين والبراءة منهم أصلها بُغض القلب، ثم ينشأ

(١) رواه أحمد في المسند، برقم (١٧١٧١) و(٢١٢٩٤)، وأبو داود في سننه: باب الرجل يحب الرجل على خير يراه رقم (٥١٢٤)، والترمذي في سننه: أبواب الزهد (٢٣٩٢)، وقال حديث: حسن صحيح غريب.

عن ذلك المقاطعة والبُعد وعدم المعاونة والمساعدة وعدم الاستنصاح لهم وعدم المعاشرة والانبساط لهم، بل الواجب العكس وهو إظهار العداوة والتعيس في وجوههم في حالة كونهم حرباً لنا.

أما المؤمن العاصي الفاسق فإنه يُحبُّ بقدر ما فيه من الإيمان والخير والطاعة، ويُبغضُ بقدر ما فيه من المعاصي والتقصير في الواجبات، والمؤمن يتسع قلبه لهذا ولهذا، للمحبة والبُغض، فيواليه بقدر ما فيه من الطاعات والخير، ويبغضه بقدر ما فيه من المعاصي والشر، كما أن الله تعالى يوالي عبده ويعاديه على حسب طاعته ومعاصيه كما وردت بذلك النصوص.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على إيمانكم بتحقيق أصول الإيمان والاستقامة عليها والبُعد والحذر مما يضعفها وينقصها أو ينافيها وينقضها، وتمسكوا بكتاب ربكم وسُنَّة نبيكم تُنصروا وتُربحوا وتُفلحوا وتُسعدوا في دنياكم وأخراكم.

وإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والزموا جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ عنهم في الدنيا شذَّ عنهم في النار يوم القيامة.

ألا وصلُّوا على مُحَمَّد خير الورى امتثالاً لأمر ربكم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة :
٧	أنواع التوحيد الثلاثة ووجوب إخلاصها
١٢	توحيد العبادة
١٩	عِظَم كلمة التوحيد ومعناها
٢٥	الإخلاص وأثره
٣٠	بيان الكفر ونواقض كلمة التوحيد
٣٨	بيان الشرك الأكبر وبعض أنواعه
٤٤	بيان الشرك الأكبر والتحذير منه
٤٩	بعض أنواع الشرك الأكبر
٥٥	بيان الشرك الأصغر والحلف والرياء
٦١	التمايم والرقى
٦٦	لبس الحلقة والخيط ونحوهما
٧١	الموالة والمعادة - الولاء والبراء
٧٧	الولاء والبراء
٨٥	فهرس الموضوعات